

في 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023، تسارعت وتيرة الأحداث في الشرق الأوسط، ما يُذكر بالسنوات التي أعقبت أحداث 11 سبتمبر/أيلول 2001، مع التدخل الغربي في أفغانستان والغزو الأميركي البريطاني للعراق، إذ نجد أنفسنا في نفس الوضع الجيوسياسي الذي يواجهه البلد المُستهدَف. مع ذلك، ثمة فرق جوهري بين إسرائيل والولايات المتحدة يُبرر سرعة وعنف الرد الإسرائيلي. فبينما الولايات المتحدة محمية من الشرق الأوسط مُحيطين، تقع إسرائيل في قلب المنطقة، ولا يفصلها عن جيرانها العرب سوى نهر الأردن وسياج بسيط مع غزة وجنوب لبنان وشبه جزيرة سيناء المصرية. علاوة على ذلك، فقد ثبت أن إسرائيل تقع ضمن مدى الصواريخ الإيرانية، سواء أطلقت من إيران نفسها أو من اليمن، إذ زودت طهران الحوثيين بصواريخ باليستية. وحتى خريف 2024، كان حزب الله يمتلك ترسانة من الصواريخ الإيرانية القادرة على ضرب إسرائيل. لهذا السبب، قرر بنيامين نتياهو القيام بعملية "تنظيف شامل" في الشرق الأوسط، بموافقة الولايات المتحدة في عهد جو بايدن، ثم بدعمها القوي بعد انتخاب دونالد ترامب، حيث أن استراتيجيات الدولتين متقاطعة.

تحليل كامل، مرفق بالخرائط، بقلم فابريس بالانش.

نشر في [الشرق الأوسط](#) بتاريخ 02 مارس/آذار 2026.

هل تهدف الهجمات الإسرائيلية الأميركية إلى تغيير النظام في إيران؟ وفقاً لدونالد ترامب، هذا هو هدفه بالفعل، فنظراً لعدم ثقته بالقادة الإيرانيين. في عام ٢٠١٧، انسحب من الاتفاق النووي الإيراني، الذي كان يهدف إلى إنهاء البرنامج النووي الإيراني مقابل رفع العقوبات. ويبدو أنه قرر في عام ٢٠٢٦ أن القوة الغاشمة هي السبيل الوحيد لحل النزاع.

لفهم المسار الجاري، ينبغي أخذ خطوة إلى الخلف والعودة إلى تسلسل الأحداث منذ 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023. كما يجب وضعها في السياق الأوسع للدينامية التي تحرّك الولايات المتحدة منذ نحو عشرين عاماً، أي سعيها إلى البقاء القوة العظمى المهيمنة عالمياً في مواجهة طموحات الصين. فقصص إيران لا يقتصر على تحييد برنامجها النووي والصاروخي.

أ/ عملية التنظيف الإسرائيلية الكبرى

منذ 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023، تسارعت وتيرة الأحداث في الشرق الأوسط، ما يُذكر بالسنوات التي أعقبت أحداث 11 سبتمبر/أيلول 2001، مع التدخل الغربي في أفغانستان والغزو الأميركي البريطاني للعراق، إذ نجد أنفسنا في نفس الوضع الجيوسياسي الذي يواجهه البلد المُستهدَف. مع ذلك، ثمة فرق جوهري بين إسرائيل والولايات المتحدة يُبرر سرعة وعنف الرد الإسرائيلي. فبينما الولايات المتحدة محمية من الشرق الأوسط مُحيطين، تقع إسرائيل في قلب المنطقة، ولا يفصلها عن جيرانها العرب سوى نهر الأردن وسياج بسيط مع غزة وجنوب لبنان وشبه جزيرة سيناء المصرية. علاوة على ذلك، فقد ثبت أن إسرائيل تقع ضمن مدى الصواريخ الإيرانية، سواء أطلقت من إيران نفسها أو من اليمن، إذ زودت طهران الحوثيين بصواريخ باليستية. وحتى خريف 2024، كان حزب الله يمتلك ترسانة من الصواريخ الإيرانية القادرة على ضرب إسرائيل. لهذا السبب، قرر بنيامين نتياهو القيام بعملية "تنظيف شامل" في الشرق الأوسط، بموافقة الولايات المتحدة في عهد جو بايدن، ثم بدعمها القوي بعد انتخاب دونالد ترامب، حيث أن استراتيجيات الدولتين متقاطعة.

القضاء على حماس في غزة 1

كان هدف إسرائيل الرئيسي، بلا شك، هو حماس. فقد كان صناع القرار الإسرائيليون مقتنعين بأن حماس قد نخرها الفساد. تلقت غزة مساعدات اقتصادية من مختلف أنحاء العالم، وتلقت حماس حقائق مليئة بالدولارات شهرياً من قطر، بموافقة إسرائيل. وقد مكّنها ذلك من الحفاظ على مستوى معيشة سكان غزة وضمن السلم الاجتماعي. شكّل السابع من أكتوبر/تشرين الأول صدمة قاسية للإسرائيليين، إذ لم يتوقعوا هجوماً إرهابياً بهذا الحجم. كان الموساد قد

تصور تحركاً سلمياً لحماس، أشبه بمسيرة العودة الكبرى، حيث يعبر مليون مدني من غزة الجدار الأمني لغزو [إسرائيل والعودة إلى الأرض التي غادروها عام 1948].

لا أمل لغزة، الخاضعة لسيطرة حماس، في تحقيق التنمية الاقتصادية. إذ تسيطر هذه الجماعة الإرهابية سيطرة تامة على الاقتصاد وتوزيع المساعدات الإنسانية الضرورية لبقاء سكان غزة. أما المدارس والجامعات، فجودتها متدنية، وتُستخدم في الغالب لتلقين الشباب أفكاراً متطرفة، كما رأينا مع طالبة الدكتوراه الغزية هذه، التي دُعيت إلى معهد العلوم السياسية في ليل عام 2025، والتي تبين أنها معادية للسامية بطبيعتها. [2] هذا هو السبب الرئيسي وراء رغبة إسرائيل في القضاء على حماس والمنظمات التابعة لها في قطاع غزة. وتشاركها هذا الرأي السعودية، التي يُحتمل أن تكون شريكة في إعادة إعمار القطاع. فهي ترفض تمويل حماس أو أي سلطة فلسطينية مستقلة بشكل مباشر، إذ شهدت تبديد المساعدات السخية التي خصصتها للفلسطينيين في سوء الإدارة والفساد. لذا، يُعدّ رحيل حماس، سواء بالقوة أو طوعاً، شرطاً أساسياً لأي خطة إعادة إعمار، والتي تُقدّر تكلفتها بنحو 70 مليار دولار، فضلاً عن المساعدات المستمرة اللازمة لدعم سكان القطاع البالغ عددهم 2.4 مليون نسمة، والذين يتزايد عددهم بوتيرة متسارعة، إذ من المتوقع أن يصل إلى 4 ملايين نسمة بحلول عام 2050. ونظراً لاستحالة تحويل غزة إلى سنغافورة جديدة، فإن المتشددون في حكومة نتنياهو يدعون ببساطة إلى طرد الفلسطينيين من قطاع غزة إلى مصر. وهو حلٌ جديد، "بدا أن دونالد ترامب يتبناه من خلال مشروع "ريفيرا غزة".

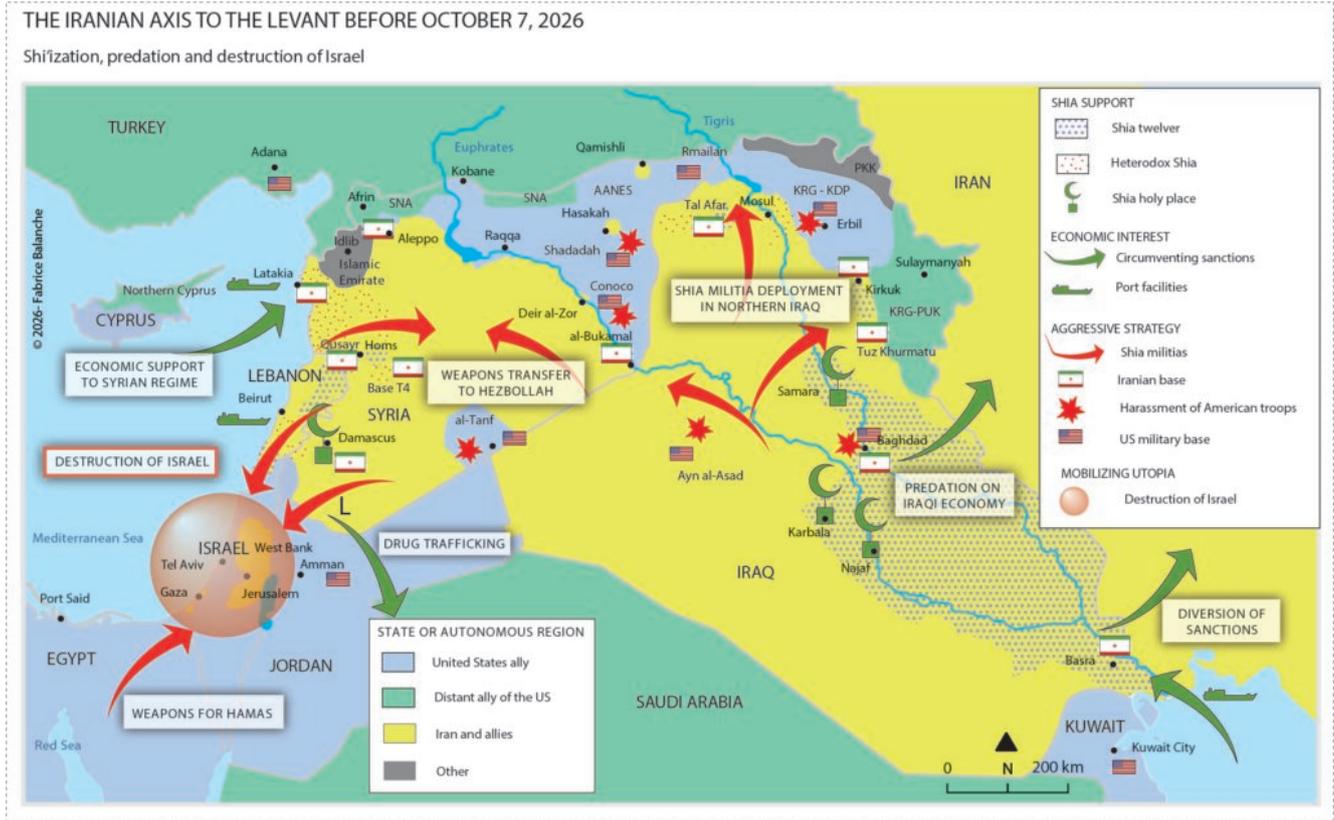
نزع سلاح حزب الله 2

بعد حماس، كان حزب الله الهدف التالي. ففي الثامن من أكتوبر/تشرين الأول 2023، أظهرت الميليشيا الشيعية دعمها لحماس بقصف شمال إسرائيل، مما أجبر 100 ألف مدني على النزوح من ديارهم. وردّت إسرائيل بقصف جنوب لبنان، ما أدى إلى نزوح مئات الآلاف من اللبنانيين. ولمدة عام، اقتصرَت المواجهات بين إسرائيل وحزب الله على تبادل القصف المدفعي وبعض الغارات الجوية، إلى أن وقع حادث أجهزة البيجر في سبتمبر/أيلول 2024. فقد أدى تفجير آلاف الهواتف المحمولة الداخلية لحزب الله، التي فخخها الإسرائيليون بالمتفجرات، إلى تدمير قيادة التنظيم الإرهابي. ثم في 27 سبتمبر/أيلول 2024، أسفرت غارات جوية مكثفة على الضاحية الجنوبية لبيروت عن القضاء على زعيمه الكاريزمي، حسن نصر الله، مُكملةً بذلك زعزعة استقرار حزب الله، ومُعلنةً بدء الهجوم في لبنان.

من المهم الإشارة إلى أن حزب الله هو الذراع المسلح لإيران في لبنان، كما أنه يدرّب ميليشيات موالية لإيران في العراق وسوريا واليمن، ويلعب دوراً محورياً في الوجود الإيراني في بلاد الشام، إذ إن آلاف الصواريخ التي زودته بها إيران كانت تهدف إلى ردع إسرائيل والولايات المتحدة. أما أمن إسرائيل فلا يقل أهمية بالنسبة لواشنطن عن أمن ولاية فلوريدا. وقد وصلت هذه الترسانة إلى حزب الله عن طريق سوريا بشار الأسد، الحليف القوي لإيران منذ ثمانينيات القرن الماضي. ومع إنشاء ممر بري بين إيران وبيروت عام 2017 [3]، أصبح من الممكن نقل الأسلحة براً بالكامل، مما يسهل إخفاءها مقارنةً بنقلها جواً أو بحراً، نظراً لأن الموانئ والمطارات تخضع لمراقبة إسرائيلية مشددة.

لذا، قبل شنّ ضربات مباشرة على الأراضي الإيرانية، شنّت إسرائيل هجوماً استباقياً على حزب الله في سبتمبر/أيلول 2024. وكان الهدف تحييد قدرة الجماعة على إلحاق الضرر. استمرت هذه الحرب ثلاثة أشهر، وانتهت بانسحاب حزب الله من المنطقة الحدودية مع إسرائيل. وخلافاً لحرب 2006، لم تشنّ إسرائيل هجوماً برياً؛ بل تحمّل سلاح الجوّ الجزء الأكبر من العملية. انتشرت قوات المشاة على المرتفعات لمواجهة نيران القناصة، لكن هذا لم يغط سوى

منطقة محدودة. وكان من المقرر أن يتولى الجيش اللبناني زمام الأمور في جنوب لبنان خلال المرحلة الأولى التي انتهت في ديسمبر/كانون الأول 2025، وهو الآن بحاجة إلى نزع سلاح حزب الله بالكامل لتجنب حرب أخرى مع إسرائيل، لكن من الواضح أن الجيش اللبناني عاجز عن القيام بذلك، حتى مع فقدان الحزب دعم سوريا المجاورة، بعد انهيار نظام بشار الأسد.



الإطاحة بنظام بشار الأسد 3

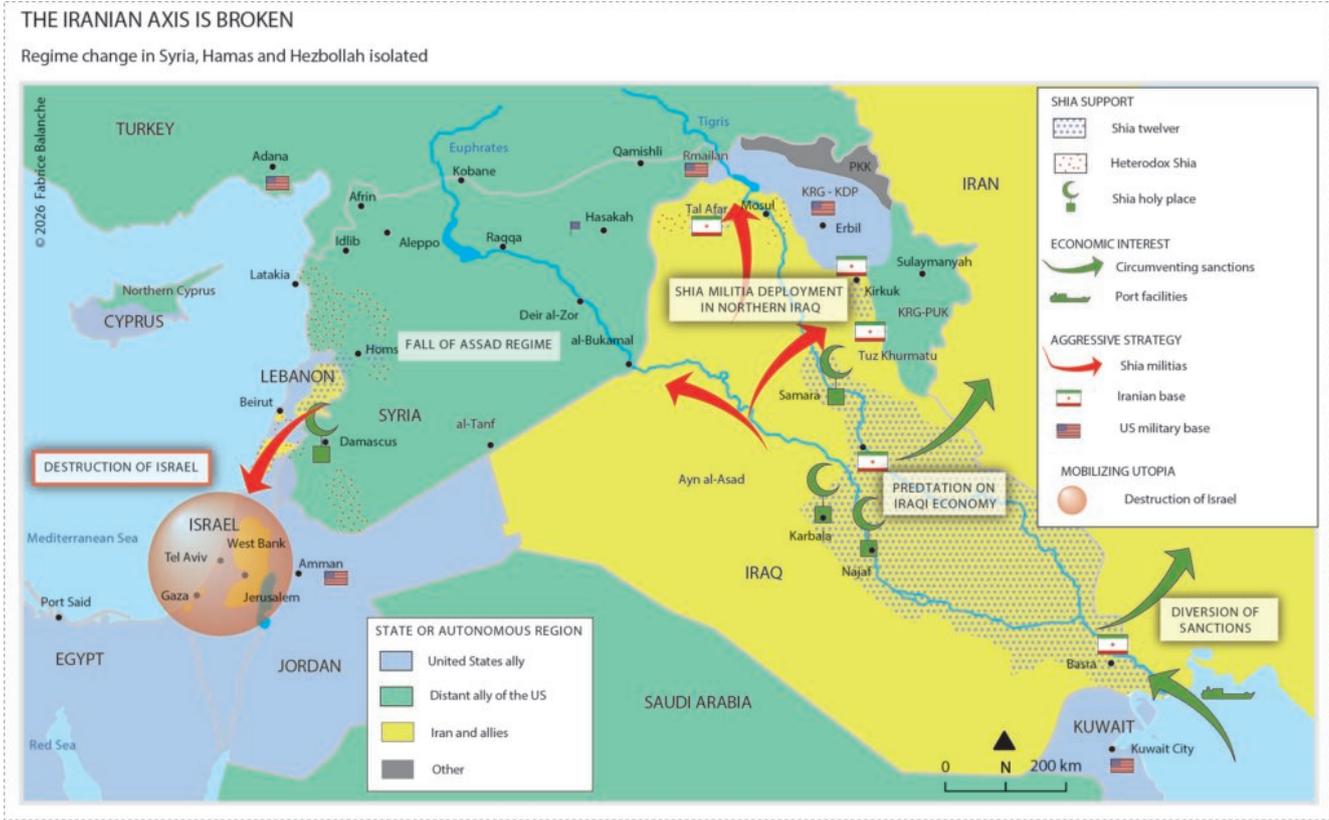
في ديسمبر/كانون الأول 2024، انهار نظام بشار الأسد تقريباً من دون مقاومة بعد اثني عشر يوماً من "نزهة عسكرية" قادتها جماعة (هيئة تحرير الشام) الجهادية انطلاقاً من إدلب. وشكّل ذلك نهاية ثلاثة عشر عاماً من النزاع الأهلي الذي قوّض أسس نظام حكم قائم على الزبائنية السياسية ذات الطابع الطائفي، تقوده عائلة واحدة. كانت سوريا بشار الأسد تمثل حجر الزاوية في المحور الإيراني في الشرق الأوسط. فقد كانت تربط بين العراق الشيعي، الذي أصبح في صفّ طهران منذ انسحاب القوات الأميركية عام 2011، و"أرض حزب الله"، أي لبنان. غير أن هذا الحجر كان هشاً للغاية، إذ إن ثلثي السكان من العرب السنة معادون لحزب الله وإيران. لم يعد بوسع بشار الأسد الاعتماد إلا على الطائفة العلوية التي ينتمي إليها، والتي تمثل نحو 10% من السكان، للسيطرة على البلاد. كما كان يعوّل على دعم الدروز وعدد قليل من المسيحيين الذين كانوا يخشون وصول الإسلاميين السنة إلى الحكم. وفي نهاية المطاف، ظلت بعض العشائر السنية تدين له بالولاء بدافع المصالح المادية، لكنها كانت أول من تخلى عنه.

بفضل دعم 50 ألف مقاتل من الشيعة العراقيين والهزارة (الشيعة الأفغان) الذين زودته بهم إيران، وحزب الله (الذي

يتمركز فيه 10 آلاف جندي بشكل دائم)، والفعالية الهائلة لأجهزة استخباراته، والقوة الجوية الروسية، كان مقتنعاً بقدرته على الحفاظ على سيطرته على البلاد. بل إنه أصرّ على رفض أي مفاوضات مع تركيا، رغم الضغوط الروسية المتكررة. في الواقع، كانت تركيا تسعى للحصول على اعتراف رسمي بـ "منطقتها الآمنة" في شمال البلاد، وذلك لمواصلة تحييد نحو 100 ألف مقاتل من هيئة تحرير الشام، بقيادة أحمد الشرع، والجيش الوطني السوري الموالي لتركيا، والذين كانوا يسيطرون على أراضٍ على حدودها.

بدأ التحول الإسرائيلي في عام 2021. [4] ففي مواجهة الأسد، الزعيم السوري الذي لا يحظى بشعبية تُذكر، والذي يقود نظاماً أقلبياً وبالنتيجة هشاً، وفي ظل سوريا فريسة للإسلام السياسي، بل وحتى الجهادية، عدّلت إسرائيل موقفها أخيراً بسبب التهديد الإيراني. وقد عجلت أحداث 7 أكتوبر هذه العملية بشكل كبير. فقد قصفت إسرائيل حزب الله في سوريا، والمليشيات الشيعية العراقية، وحتى القنصلية الإيرانية في دمشق في 1 أبريل/نيسان 2024، حيث كان يُعقد اجتماع لقيادة فيلق القدس. [5] كان الهدف هو تفكيك البنية التحتية الموالية لإيران التي كانت تُبقي الجيش السوري المُنهك والمُستنزف من جراء 13 عاماً من الصراع على قيد الحياة. في أكتوبر/تشرين الأول 2024، سحب حزب الله غالبية قوات التدخل من سوريا لمواجهة الهجوم الإسرائيلي في لبنان. أما بالنسبة للمليشيات الشيعية الأخرى، فقد كانت تفر إلى العراق هرباً من غارات الجيش الإسرائيلي. فقد الجيش السوري عموده الفقري، وتمكنت هيئة تحرير الشام من اختراق دفاعات حلب بسهولة في أواخر نوفمبر/تشرين الثاني 2024، ثم التقدم نحو دمشق. مع احتلالها لأوكرانيا، لم تكن روسيا رغبةً بتأناً في تقديم العون لحليفٍ عنيد كبشار الأسد. وقد استشاط بوتين غضباً من سلوك هذا الشخص الكارثي تجاه تركيا والشعب السوري، والذي كلفه حتى آخر مؤيديه. كان الرئيس الروسي ليفضل تركه فريسةً لجهاديي هيئة تحرير الشام، ليُشنق على خطاف جزاري كما حدث لموسوليني عام 1940، لكن حفاظاً على سمعته لدى حلفاء روسيا الديكتاتوريين الآخرين، اضطر إلى منحه حق اللجوء.

تقاطعت المصالح الاستراتيجية الإسرائيلية والتركية مؤقتاً في خريف عام 2024، لكنها تتباعد الآن مجدداً، إذ لا ترغب إسرائيل في سوريا قوية مدعومة من تركيا، تُقرر تبني القضية الفلسطينية والرد على إسرائيل باستعادة مرتفعات الجولان. بعد هزيمة الأسد، اتخذت إسرائيل خطوات لترسيخ هيمنتها على المجال الجوي السوري بتدمير البنية التحتية العسكرية السورية تدميراً كاملاً، ما يُتيح لها تهديد أحمد الشرع بالقتل في أي وقت. هذا الأمر يجعل الزعيم السوري الجديد أكثر انفتاحاً على المفاوضات مع إسرائيل، إذ تسعى تل أبيب إلى إبرام معاهدة سلام مع دمشق سريعاً، بينما سوريا ضعيفة وتحتاج إلى الولايات المتحدة للتعافي. وقد أظهر أحمد الشرع حسن نيته بإزالة مرتفعات الجولان من الخريطة السورية الجديدة. من الواضح أن إسرائيل لن تُعيد هذه الأرض إلى سوريا أبداً، وإذا أصرّ أحمد الشرع على ذلك، فقد يُلاقى المصير نفسه الذي لاقاه علي خامنئي.



4 منع إيران من الحصول على السلاح الذري

لن تقبل إسرائيل أبداً بامتلاك إيران القنبلة الذرية، ولن تقبل بذلك أيضاً ممالك الخليج النفطية التي تخشى إيران أكثر من أي شيء آخر. لقد هدد نظام الملالي إسرائيل مراراً وتكراراً بالدمار، مما يجعل احتمال استخدام قنبلة ذرية ضد هذه الدولة أمراً وارداً للغاية. ويصدق هذا بشكل خاص نظراً لامتلاك إيران صواريخ باليستية قادرة على الوصول إلى إسرائيل. علاوة على ذلك، يمكن لإيران النووية استخدام شبكتها من الميليشيات الشيعية (الحوثيون، وحزب الله، وقوات الحشد الشعبي) لزعزعة استقرار جيرانها مع تجنب أي رد فعل انتقامي جدي. ويعزز غزو روسيا لأوكرانيا تصميمها على مواصلة برنامجها النووي، إذ أن دولة تمتلك هذا السلاح لا تواجه أي خطر من ردود فعل انتقامية جديّة. وبالتالي، فإن توجيه ضربة للمنشآت النووية الإيرانية هو النتيجة المنطقية لمبادرة إسرائيل لإعادة تنظيم الشرق الأوسط وضمان أمنها على المدى الطويل.

في عام 2024، توترت العلاقات بين إيران وإسرائيل إثر سلسلة من تبادل الصواريخ والغارات الجوية. فبعد تدمير قنصليتها في دمشق في الأول من أبريل، شنت إيران عملية "الوعد الصادق" ليلة 13-14 أبريل 2024، مستخدمةً ثلاثمائة طائرة مسيرة وصاروخ استهدفت إسرائيل. وردت إسرائيل في 19 أبريل بضربات موجّهة، أسفرت عن أضرار طفيفة، لكنها هدفت إلى اختبار دفاعاتها الجوية. وبعد اغتيال حسن نصر الله في 27 سبتمبر، والتفجيرات المكثفة ضد حزب الله في لبنان، شعرت إيران بضرورة الرد لحماية أقرب حلفائها في المنطقة، وقبل كل شيء، لحماية أفضل حلفائها، وحامل قوة الردع ضد إسرائيل، فتم إطلاق مئتي صاروخ باليستي على إسرائيل، تم اعتراض معظمها بفضل نظام القبة الحديدية ومساعدة السفن الحربية الأميركية المتمركزة هناك. وشاركت القاعدة الفرنسية في الأردن في

العملية. ولم يتسبب سوى صاروخ إيراني واحد في أضرار طفيفة لقاعدة جيلو، التي تضم مقر الموساد. ورداً على ذلك، دمر الإسرائيليون الدفاعات الجوية الإيرانية، مما سمح للطائرات الإسرائيلية والأميركية باختراق المجال الجوي الإيراني دون عوائق في يونيو 2025 وضرب مواقع الصواريخ الباليستية والمنشآت النووية في نطنز وفوردو وأصفهان.

بعد القصف في يونيو 2025، لاحظنا عزلة إيران، إذ لم تتدخل روسيا والصين لدعمها. وفي بيان مقتضب، أعلن فلاديمير بوتين أنه عرض على إيران بيع أنظمة دفاع جوي، إلا أن العرض قوبل بالرفض. ويبدو أن موسكو تسعى إلى النأي بنفسها عن طهران، التي تُحمّلها مسؤولية فشلها في سوريا. في الواقع، أدى الصراع الأيديولوجي الإيراني ضد إسرائيل إلى سقوط بشار الأسد وهزيمة مُدلة لروسيا، مما أثار تساؤلات حول وجودها العسكري في شرق المتوسط. وعلى الصعيد الإقليمي، لم يُطلق الحوثيون سوى عدد قليل من الطائرات المُسيّرة ضد إسرائيل. أما حزب الله، فقد فقد أي قدرات هجومية والتزم الحياد. واكتفت ممالك النفط الخليجية باحتجاج رمزي، خشية أن تكون هدفاً للرد الإيراني نظراً لوجود قواعد عسكرية أمريكية على أراضيها. وفي الواقع، فهي تبتهج بضعف إيران التي تُعد خصمها الرئيسي، لكنها تخشى في الوقت نفسه قدراتها على الإيذاء. تركز المملكة العربية السعودية، بقيادة محمد بن سلمان، على تنميتها الاقتصادية في إطار رؤية 2030. وتخشى المملكة من إطلاق صواريخ إيرانية من شمال اليمن، ولا تتردد في دفع 100 مليون دولار شهرياً للحوثيين كدعم لتحبيدهم. [6] وبخشي ولي العهد هجوماً صاروخياً إيرانياً على موانئ النفط الواقعة على سواحل الخليج العربي، ولا سيما محطات تحلية مياه البحر التي تزود مدن الساحل الشرقي بالمياه، وصولاً إلى العاصمة الرياض التي يبلغ عدد سكانها ستة ملايين نسمة. ولدى دول الخليج العربي الأخرى نفس هذه المخاوف.

من الصعب تقييم حجم الضرر الذي لحق بالبرنامج النووي الإيراني في يونيو/حزيران 2025 بدقة. هل تأثر البرنامج بشدة؟ هل تم تأخير الوقت اللازم لتجميع سلاح نووي لمدة عام أو عامين؟ بالنسبة لدونالد ترامب، كانت هذه رسالة تحذيرية تهدف إلى تشجيع إيران على بدء المفاوضات. وقد منحها مهلة حتى 31 ديسمبر/كانون الأول 2025 للتخلص من مخزونها من اليورانيوم المخصب، وإنهاء برنامجها النووي نهائياً، والحد بشكل كبير من برنامجها للصواريخ الباليستية. لم يكن لدى الرئيس الأميركي ورئيس الوزراء الإسرائيلي أوهام تُذكر بشأن نتيجة المفاوضات، إذ كانت هذه الشروط غير مقبولة بتاتاً لدى علي خامنئي وقادة الجمهورية الإسلامية، الذين يرون في إسرائيل "سرطاناً خبيثاً" [7] يجب القضاء عليه، وأن الولايات المتحدة ليست سوى تجسيد للشيطان. في ظل هذه الظروف، كانت عمليات القصف التي بدأت في 28 فبراير/شباط حتمية. ويبدو أن إسرائيل عازمة على القضاء على التهديد الإيراني. ومع ذلك، من الضروري فهم الحرب الأميركية ضد إيران على نطاق مختلف تماماً.

ب/ الولايات المتحدة تريد أن تبقى القوة الأولى في العالم

يستحضر شعار دونالد ترامب "لنجعل أميركا عظيمة مجدداً" شعار رونالد ريغان "أميركا عادت"، الذي أطلقه عند توليه منصبه في يناير 1981. وكان ضيوف الشرف في ذلك الحفل هم الرهائن الأميركيون الذين أطلق سراحهم مؤخراً من قبل الجمهورية الإسلامية، التي اقتحمت السفارة الأميركية في طهران. لم تغفر الولايات المتحدة هذه الإهانة قط في تعاملها مع إيران. ينتمي دونالد ترامب إلى جيل الأميركيين الذين لا تزال هذه الذكرى محفورة في أذهانهم، مما يسهم في عدائه لإيران. لكن استراتيجيته تتجاوز الشرق الأوسط، ففي واشنطن، تُدرس كل أزمة في سياقها الأوسع.

كان رونالد ريغان السياسي الذي أعاد للولايات المتحدة قوتها بعد الهزائم في فيتنام والنكسات في أميركا اللاتينية وجنوب أفريقيا وأفغانستان في عهد الرئيس جيمي كارتر. وقد أعاد إحياء الواقعة الهجومية لكبح جماح الاتحاد

السوفيتي في أنحاء العالم، وساهم بشكل كبير في سقوطه. ويبدو أن دونالد ترامب يستلهم بشكل كبير من رونالد ريغان، ليس لأنه يسعى إلى تدمير روسيا، التي لا يعتبرها تهديداً حيوياً للمصالح الأميركية، بل لمنع الصين من أن تصبح القوة العظمى العالمية. ولذلك، فإن إيران، مثل فنزويلا، دولة يجب إعادتها إلى الحضن الأميركي لحرمان الصين من الوصول إلى الطاقة الوفيرة والرخيصة. علاوة على ذلك، يهدف هذا الاستعراض للقوة العسكرية الأميركية إلى استعادة الحلفاء الذين ابتعدوا عن واشنطن على مدى العشرين عاماً الماضية، مفتونين بمثالية التعددية.

عودة دبلوماسية السفن الحربية في أميركا اللاتينية 1

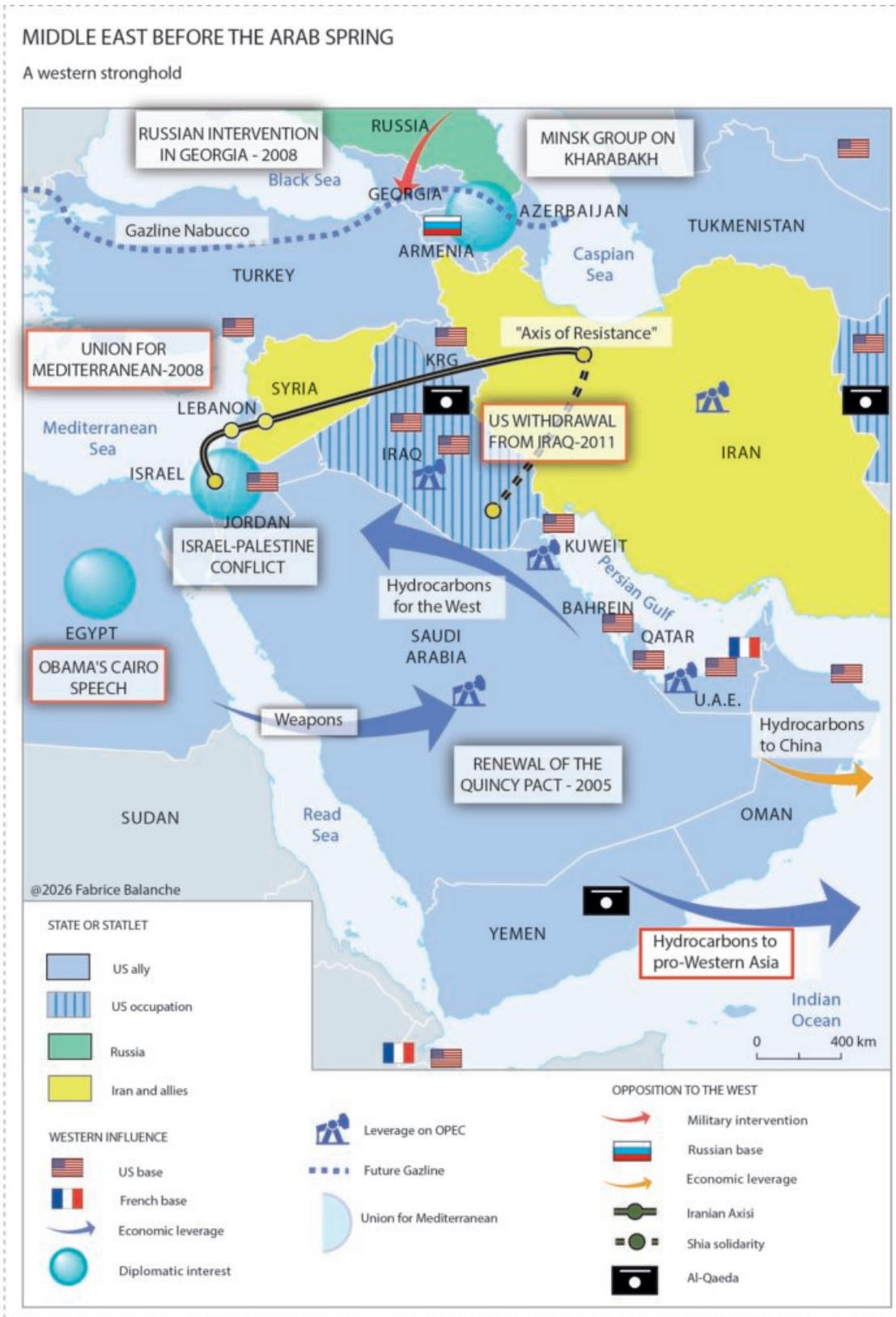
بدأ صعود الهيمنة الأميركية من جديد في منطقة الكاريبي، حيث كان فيدل كاسترو، بتشجيع من حليفه السوفيتي، يسعى لتوسيع نفوذه. في عام 1983، أنزل الأسطول الأميركي قواته على جزيرة غرينادا، قرب فنزويلا، حيث استولت حكومة "ثورية شعبية" على السلطة عام 1979 بدعم كوبي. أسفرت العملية عن مقتل نحو عشرين أميركياً ونحو مئة من الكوبيين والغريناديين. كما استهدف رونالد ريغان نيكاراغوا، حيث اقترب نظام ساندينستا بقيادة دانيال أورتيغا، الذي وصل إلى السلطة عام 1980، بشكل خطير من كوبا بدءاً من عام 1984. حينها فرض الرئيس الأميركي حظراً تجارياً على البلاد ودعم جماعة حرب عصابات معادية للثورة (الكوتترا) للإطاحة بحكومة ساندينستا الثورية. وفي نهاية المطاف، خسر أورتيغا انتخابات عام 1990. شُنت عمليات أخرى في أميركا اللاتينية لمكافحة النفوذ الشيوعي، مثل دعم عمليات مكافحة التمرد ضد جماعة "الدرب المضيء"، وهي جماعة مستوحاة من الفكر الماوي كانت تُزعزع استقرار بيرو. وكان هدف رونالد ريغان حماية مجال أميركا الحيوي من أجل مواجهة الاتحاد السوفيتي على أطرافها بشكل أفضل.

ثمة ما يشابه ذلك في تكتيكات دونالد ترامب الحالية. ففي مطلع يناير/كانون الثاني 2026، أمر الرئيس الأميركي باعتقال الرئيس الفنزويلي نيكولاس مادورو، الذي أُلقت القبض عليه وحدة كوماندوس أميركية في قصره الرئاسي. وُجهت إليه تهمة "التآمر الإرهابي في تجارة المخدرات". وتتهمه واشنطن بتسهيل شحن المخدرات غير المشروعة إلى الولايات المتحدة، ودعم عصابات المخدرات والحركات الإرهابية المعادية لأمريكا على مدى ربع قرن. واليوم، تجد الحكومة الفنزويلية مضطرة للالتزام بانتقال ديمقراطي يُرجح كفة المعارضة الموالية لأمريكا، كما يجب عليها التخلي عن بيع نفطها بأسعار زهيدة للصين، ووقف دعم كوبا. وقد هدد دونالد ترامب فنزويلا بالتدخل العسكري المباشر إذا لم تتحقق هذه الأهداف بحلول نهاية عام 2026. [8] ويُفترض أن يكون الهجوم على إيران مثلاً في هذا الصدد.

تعكس نزعة ترامب التوسعية في أميركا اللاتينية والشرق الأوسط عداؤه للصين. فمنذ مطلع الألفية، تتزايد حصة الصين في السوق هناك، حتى أصبحت في عام 2015 الشريك التجاري الرئيسي، متجاوزةً الولايات المتحدة. [9] إلا أن الصين لا تكتفي ببيع السلع المصنعة، بل تستورد كميات هائلة من المواد الخام، المعدنية والزراعية على حد سواء. فبعد فترة من التصنيع القائم على استراتيجية استبدال الاستيراد الحمائية، شهدت القارة مرحلة تراجع صناعي منذ تسعينيات القرن الماضي، وتعود الآن إلى دورها كمنتج للمواد الخام، كما كانت عليه الحال خلال الحقبة الاستعمارية. وتحتاج الصناعة الصينية بشدة إلى هذه المواد الخام لمواصلة النمو وتلبية احتياجات الأسواق. أما هدف الولايات المتحدة فلا يكمن في حرمان الصين من هذه الموارد بالكامل، بل إلى الحد من وارداتها، وبالتالي رفع أسعارها، لا سيما إذا كانت الشركات الأميركية هي من يمتلك امتيازات الاستثمار. فالخطر يكمن في أن تستغل الشركات الصينية موارد أراضي أميركا الجنوبية بنفسها بعد إفساد السلطات المحلية.

الشرق الأوسط يجب أن يبقى محمية أميركية 2

يُعدّ الشرق الأوسط منطقةً رئيسيةً أخرى لواشنطن، إذ تعتقد أن الصين قد عززت نفوذها فيه خلال العقدَيْن الماضيين، حيث يتدفق إليها حالياً أكثر من ثلث موارد المنطقة من المحروقات. [10] ففي العراق، تستخرج الشركات الصينية أكثر من 50% من النفط، بفضل انسحاب الشركات الغربية نتيجةً للوجود الإيراني والمخاطر الأمنية والفساد المستشري. تستفيد الصين من العقوبات التي فرضها المجتمع الدولي على إيران بشراء مواردها الطاقية بأسعار مخفضة، كما فعلت في فنزويلا وروسيا. وتستفيد كذلك من شراكتها الاستراتيجية مع إيران، ما يمنحها امتيازات في استغلال موارد الطاقة العراقية والأسواق العامة. في مقابل مساعدتها في العراق، تدفع الصين لوسطاء إيرانيين، أو حتى للحكومة الإيرانية مباشرةً، ما يُكبّد العراق تكاليف إضافية. وهكذا فإن العراق يدفع ثلاثة أضعاف تكلفة محطة طاقة صينية: التكلفة الفعلية للمحطة، وما يعادلها من رشى مدفوعة لوسطاء مختلفين، بالإضافة إلى تكلفة بناء محطة ثالثة في إيران، تُقدّم مجاناً كعربون شكر للنظام الإيراني على مساعدته. يعتبر العراق أساسياً للاقتصاد الإيراني، لأنه يسمح لإيران بالالتفاف على العقوبات، والحصول على الدولارات، والتفاوض مع الصين من موقع قوة.



في مارس/أذار 2023، توسطت الصين بين إيران والسعودية، مما سهّل استئناف العلاقات الدبلوماسية وتخفيف حدة التوتر. فعلى سبيل المثال، في مقابل إعادة قبول بشار الأسد في جامعة الدول العربية، طالبت السعودية الحوثيين بالكف عن إطلاق الصواريخ على أراضيها، مقابل إعانة شهرية تبلغ حوالي 100 مليون دولار. شكّل هذا النجاح الدبلوماسي الصيني في منطقة كانت تُحلّ فيها مثل هذه النزاعات سابقاً في واشنطن إهانة للولايات المتحدة. ويعود ذلك إلى رفض محمد بن سلمان، في سبتمبر/أيلول 2022، زيادة إنتاج النفط السعودي لتلبية احتياجات السوق وخفض الأسعار في ظل العقوبات المفروضة على روسيا، والتي دفعت أسعار النفط إلى مستويات قياسية. في الواقع، منذ معاهدة كوينسي، الموقعة عام 1945 بين روزفلت وابن سعود، تتلقى السعودية الحماية العسكرية الأميركية مقابل التزامها بالسياسة الاقتصادية الأميركية. حيث يتعين على الدولة الرائدة عالمياً في تنظيم أسعار النفط خفض إنتاجها عندما ترى الولايات المتحدة، حاميئها، أن السعر منخفض للغاية، وزيادته عندما يكون من مصلحتها خفض الأسعار. حدث هذا في عام 2014، عندما سعت الولايات المتحدة إلى شلّ الاقتصاد الروسي لمعاينة بوتين على غزو شبه جزيرة القرم. وقد كُلفت الخسائر الناتجة السعودية ثروة طائلة، وهو قرار قبلته على مضض، مستنزفةً احتياطياتها المالية لخدمة السياسة الأميركية.

أصبح محمد بن سلمان أقل ميلاً للتضحية بتنمية المملكة العربية السعودية لإرضاء السياسة الأميركية. وقد كان متحفظاً جداً إزاء شنّ هجوم على إيران، مدركاً أن ذلك قد يزعزع مشروعه الاقتصادي "رؤية 2030"، القائم على إعادة تخطيط جريئة للبنية التحتية للبلاد، والاستثمار في قطاع الخدمات المتقدمة والسياحة، وتنشيط سوق العقارات. هذا المشروع، الذي سيبلغ ذروته في معرض إكسبو 2030 العالمي في الرياض، يحتاج إلى استقرار إقليمي لتحقيق أهدافه، واستعادة الثقة في الاقتصاد، وجذب رؤوس الأموال الأجنبية ورجال الأعمال. وتجد بقية الممتلكات النفطية في الخليج نفسها في وضعٍ مشابه إلى حدّ كبير، فضلاً عن امتلاكها بنى تحتية حيوية شديدة الهشاشة في مواجهة الضربات الإيرانية. فإذا دمرت إيران محطات توليد الطاقة التي تُستخدم أيضاً كمراقف لتحلية مياه البحر، فإن هذه الدول ستتهار سريعاً. علاوة على ذلك، قد يؤدي هذا الحادث العسكري إلى تشويه صورتها كملاد للسلام بشكل لا رجعة فيه، مما يعيق جاذبيتها للسياح ومستثمري العقارات الفاخرة، وتدفقات رؤوس الأموال الدولية، والنقل الجوي للركاب، والشحن البحري. ويُعدّ النشاطان الأخيران في غاية الأهمية لدولة الإمارات العربية المتحدة.

على نطاق أوسع، ومنذ بداية الربيع العربي، تراجعت مكانة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط لصالح روسيا وإيران والصين. رسّخت روسيا وجودها في سوريا بتدخلها المباشر في سبتمبر/أيلول 2015 لدعم نظام بشار الأسد. ونجحت إيران في إقامة محور جيوسياسي بين طهران وبيروت، ما وسّع نفوذها على العراق وسوريا ولبنان. وبفضل انتصار الحوثيين في شمال اليمن، اكتسبت الجمهورية الإسلامية موقعاً جيوسياسياً مهماً على دول الخليج النفطية. وهي قادرة، في الواقع، على إغلاق مضيقي هرمز وباب المندب، ما يحرم هذه الدول من تصدير مواردها النفطية. وقد قوبل انسحاب الولايات المتحدة عام 2017 من التزامها بتوفير المعدات العسكرية اللازمة للقضاء على الحوثيين، تجنباً لحقّام دم بين المدنيين، باستياء شديد من السعودية والإمارات. شككت هذه الدول في مصداقية الولايات المتحدة كحليف، ممّا دفعها إلى السعي لعقد اتفاق مع إيران، والتقارب مع روسيا، وقبل كل شيء، تعزيز علاقاتها مع الصين التي قد تمارس نفوذاً على طهران. كما أثار تخلي الغرب عن مبارك في مصر وبن علي في تونس بعض القلق لدى ممالك الخليج، التي خشيت ألا تتلقى الدعم في حال اندلاع انتفاضة شعبية. تساهم دولة الرفاه في الحفاظ على السلم الاجتماعي بين المواطنين، باستثناء البحرين بسبب الانقسام السني الشيعي، لكن هذا لا ينطبق على غالبية السكان المهاجرين.

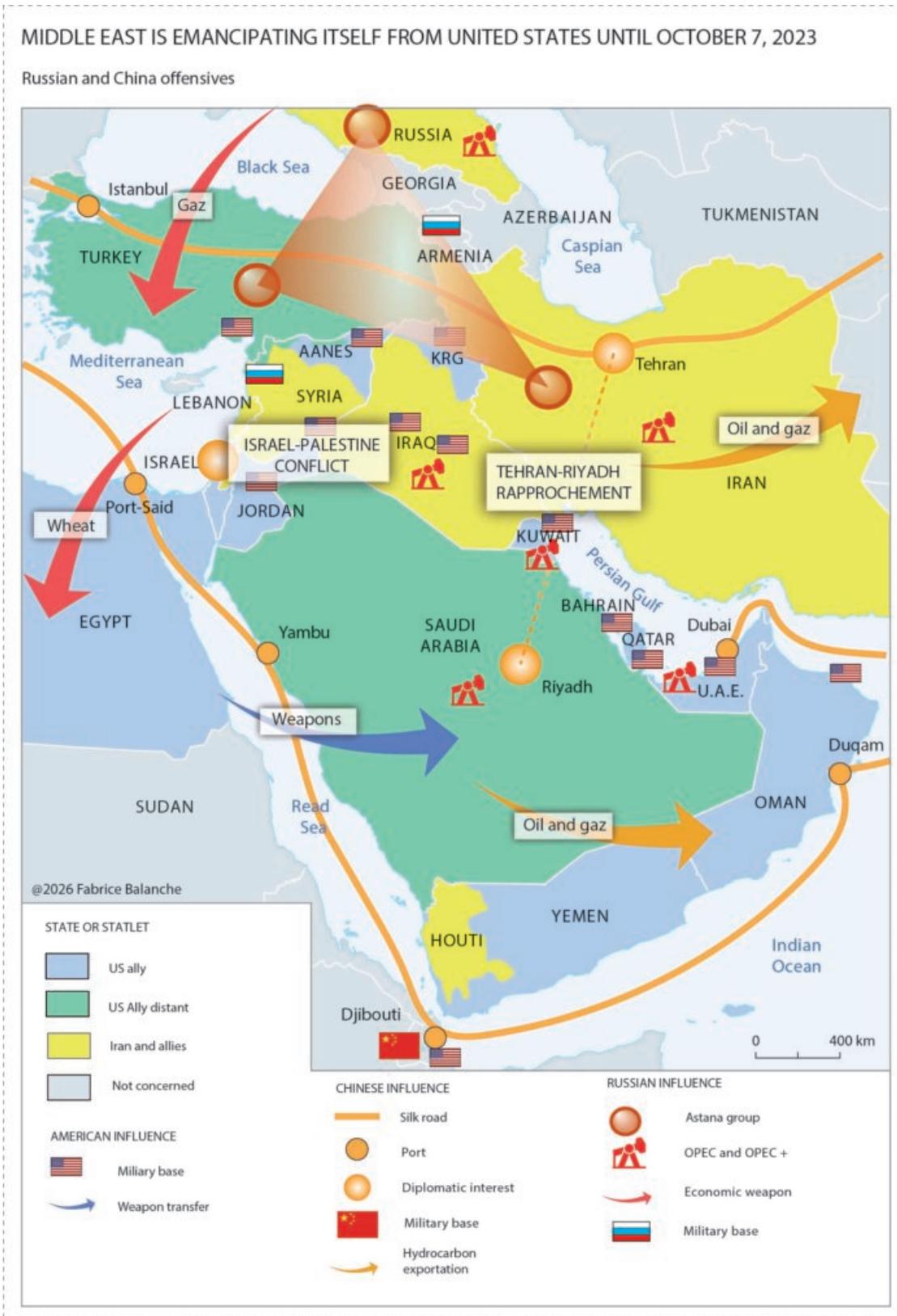
إن استعراض دونالد ترامب للقوة في المنطقة يهدئ مخاوف حلفائه الخليجيين، بينما يهدد في الوقت نفسه الدول التي تفكر في التحرر. ويمكن اعتبار الهجوم الإسرائيلي على مقر حماس في الدوحة في 9 سبتمبر/أيلول 2025



إعادة تشكيل الشرق الأوسط من غزة إلى إيران

بمثابة تحذير للنظام الملكي القطري. ومن غير المعقول أن تجرؤ إسرائيل على مثل هذا العمل دون موافقة الولايات المتحدة.

Middle East is emancipated from the



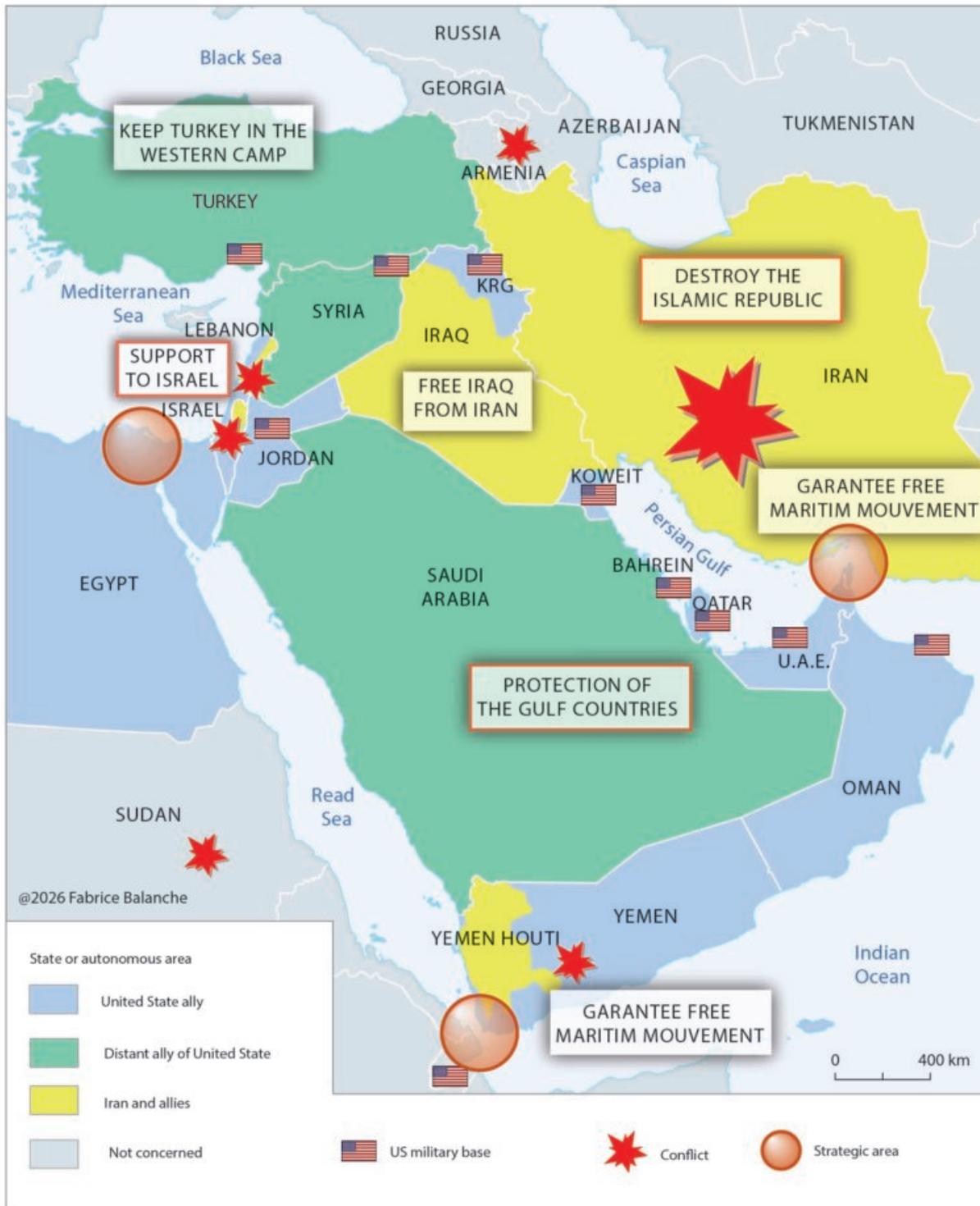
الخلاصة: الولايات المتحدة تعود إلى النهج الواقعي الهجومي

تُنفَّذ حملة التنظيف الإسرائيلية الكبرى في الشرق الأوسط بدعم من الولايات المتحدة، لا سيما منذ تولي دونالد ترامب السلطة، إذ يتشارك البلدان استراتيجية متقاربة تجاه إيران، وإن كان ذلك لأسباب مختلفة تتعلق بحجمهما ومكانتهما على الساحة الدولية. فبعد السابع من أكتوبر/تشرين الأول، شرعت إسرائيل في القضاء على حلفاء الإيرانيين، ألد أعدائها (حماس، وحزب الله، ونظام بشار الأسد). هدفها الأساسي هو إنهاء الهيمنة الإيرانية، التي تُمثِّل، ببرامجها النووية والصاروخية الباليستية، التهديد الأكبر. بالنسبة للولايات المتحدة في عهد دونالد ترامب، يُشكِّل سعي طهران لامتلاك القنبلة الذرية تهديداً خطيراً يجب القضاء عليه. مع ذلك، تُعدُّ الحرب ضد إيران جزءاً من استراتيجية أوسع تهدف إلى ضمان هيمنة الولايات المتحدة على الساحة الدولية في سياق مواجهتها مع الصين. ويهدف استعراض القوة الأميركية إلى إعادة الحلفاء إلى صفها بدلاً من السماح لهم بالانفصال عنها وإقامة علاقات قوية مع روسيا والصين. ويُعدُّ التحكم المُحكَم في موارد الطاقة، ولا سيما النفط، أمراً بالغ الأهمية لدول مثل الهند، التي تحصل أيضاً على نفط رخيص من روسيا وفنزويلا وإيران.

هل يخطط دونالد ترامب، على المدى البعيد، لإنشاء كارتل نفطي يضم كبار المنتجين، بما في ذلك روسيا؟ سُمِّكته هذه المناورة من كبح النمو الصيني. وكما حاول هنري كيسنجر استغلال التنافس بين الصين والولايات المتحدة وبرجينيف، يسعى الرئيس الأميركي إلى تفويض التحالف المُتجدد بين موسكو وبكين على مدى العقدين الماضيين. وقد أُجبرت العقوبات الدولية المفروضة على صادرات النفط الروسية موسكو على بيعها للصين بأسعار مُخفضة في الوقت الراهن. وسيستمر هذا الوضع طالما استمرت الحرب في أوكرانيا. كما تستغل بكين الوضع لزيادة نفوذها على آسيا الوسطى السوفيتية السابقة وسيبيريا الشرقية، كمنفذ لاستيعاب الزيادة السكانية في الصين، الأمر الذي قد يُفضي في نهاية المطاف إلى نزعات توسعية. وبالتالي، يجب تحليل الجهود الدبلوماسية التي تبذلها واشنطن لإنهاء هذه الحرب في ضوء هذه الاستراتيجية الرامية إلى فصل موسكو عن بكين. ولا يهم إن كان علينا التخلي عن دونباس لروسيا والاعتراف بضم موسكو لشبه جزيرة القرم. ففي عام ١٩٣٩، تنازلت فرنسا عن سنجق الإسكندرونة، وهو إقليم سوري، لتركيا لمنعها من التحالف مع ألمانيا. وطناً منهما أنهما تمنعان إيطاليا الفاشية من التحالف مع ألمانيا عام 1935، فقد اعترفت فرنسا وبريطانيا العظمى بسيادة إيطاليا على إثيوبيا، التي كانت قد احتلتها للتو، رغم أن إثيوبيا كانت عضواً في عصبة الأمم. يزخر التاريخ بأمثلة تُتيح لنا فهم الوضع الجيوسياسي الراهن. من الواضح أنه من الأهمية بمكان عدم فهمه من منظور "القانون الدولي"، بل من منظور موازين القوى والواقعية الهجومية.

UNITED STATES STRATEGY IN MIDDLE EAST

Support Israel, destroy the Islamic Republic, and preserve the Gulf countries



المصادر:

- [1] مقابلة مع مسؤول سياسي إسرائيلي، تل أبيب، يونيو/حزيران 2016
- [2] صحيفة لوموند، "في ليل، طالبة من غزة تخضع لتحقيق بتهمة تمجيد الإرهاب والجرائم ضد الإنسانية"، 31 يوليو/تموز 2025، <https://www.lemonde.fr/.../a-lille-une-etudiante-gazaouie...>
- [3] فابريس بالانش، "من الممر الإيراني إلى الهلال الشيعي"، مطبعة مؤسسة هوفر، جامعة ستانفورد، 2018، https://www.hoover.org/.../balanche_iranincorridor_pdf.pdf
- [4] فابريس بالانش، دروس الأزمة السورية، باريس، أوديل جاكوب، مارس 2024
- [5] تم إنشاء فيلق القدس بعد الحرب العراقية الإيرانية كوحدة خاصة منفصلة عن الحرس الثوري الإسلامي. وهو متخصص في الحرب غير التقليدية والعمليات الخارجية. قاده قاسم سليمان من عام 1997 إلى عام 2020، والذي قُتل في غارة أميركية بطائرة مسيرة في يناير 2020 في بغداد.
- [6] مقابلة مع دبلوماسي أوروبي، البحرين، 2025
- [7] الإخبارية، 22 سبتمبر/أيلول 2024، قناة i24، <https://www.i24news.tv/.../artc-khamenei-accuse-israel-de...>
- [8] مقابلة مع دبلوماسي أميركي، أبريل، يناير/كانون الثاني 2026
- [9] ارتفع حجم التبادل التجاري بين الصين ودول أميركا اللاتينية، من حيث القيمة، من 10 مليارات دولار أميركي عام 2000 إلى أكثر من 518 مليار دولار أميركي عام 2024، على الرغم من جائحة كوفيد-19، وقد يصل إلى 700 مليار دولار أميركي بحلول عام 2035»، كريستوف فنتشر، أميركا اللاتينية: منطقة ذات أولوية للصين، مذكرة من معهد IRIS، أبحاث العلاقات الدولية، يوليو/تموز 2025، https://www.iris-france.org/.../AFD_2025_07_Chine...
- [10] إدارة معلومات الطاقة الأمريكية، "وسط الصراع الإقليمي، لا يزال مضيق هرمز نقطة اختناق نفطية حيوية"، 16 يونيو 2025، <https://www.eia.gov/todayinenergy/detail.php?id=65504>

ترجمه إلى العربية أسامة حرفوش

رابط المقال بالفرنسية